الوحدة الأولى: الموسيقى التقليدية الفنية

نعني بالموسيقى التقليدية الفنية بعض أنماط الموسيقى في المغرب لها قوالب تأليف ثابتة، لا تقبل الارتجال إلا نادرا وفي مساحة محدودة، وتضم هذه الفئة مجموعة من الأنماط التي تأثرت بالحضارة الأندلسية، وكذلك قصيدة الملحون وفن الروايس بمنطقة سوس.

1

لقد أدى التمازج بين ضفتي الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس) إلى ظهور عناصر حضارة رائعة، تشكلت في أكثر من سبعة قرون ونتج عنها على وجه الخصوص ما نسميه اليوم بالموسيقى الأندلسية.

وما ورثناه عن الأندلس لم يكن سوى نموذجًا للتأليف، شكله المغاربة وأثروه شعريًا وموسيقيًا ليصلوا إلى اختراع النوبة المغربية من خلال متتالية من القطع الغنائية والفواصل الموسيقية.

تتكون الموسيقى الأندلسية في المغرب من ثلاثة أشكال:

-الأول هو ما يسمى بطرب الآلة المنتشر بشكل رئيسي في فاس وتطوان وطنجة وشفشاون والرباط وسلا.

-والثاني هو الموسيقى الغرناطية التي تقتصر ممارستها على مدينتي وجدة والرباط.

-أما الشكل الثالث فيأتي من الممارسة الموسيقية ليهود المغرب.

يتكون طرب الآلة من 11 نوبة تتجاوز مدة تقديمها الإجمالية 100 ساعة من الموسيقى.

تمر كل نوبة بخمس مراحل إيقاعية(الميزان) وتستخدم أربعة أنواع من النظم (شعر، موشح، زجل أندلسي، برولة وهي نوع من الملحون).

يحتوي الغرناطي أيضًا على خمس إيقاعات تعمل ضمن بناء من 12 نوبة كاملة لها مقامات وإيقاعات معينة.

نجد الطبوع والمقامات الأندلسية في السماع الصوفي، كما نجدها في طقوس المرور الخاصة باليهود المغاربة وفي إنشادهم الديني و"البيوتيم."

وكتعبير عن التمازج الفني بين المغاربة مسلمين ويهود، ظهر نوع يسمى" المطروز"، وفيه تتناوب خلال الجلسة الموسيقية أبيات باللغة العربية وأخرى بالعبرية، على نفس الإيقاع ونفس اللحن.

2 .السماع

من الأنماط الموسيقية التي تستعمل المقامات والإيقاعات الأندلسية نجد فن السماع الذي يؤدى بدون مصاحبة آلية معتمدا على ثلاثة أرصدة شعرية

- شعر فصيح خاص بالمديح النبوي والتصوف ومثاله هو قصيدتا البردة والهمزية للبوصيري
- براول بدارجة الملحون مثل شعر الحراق

- وأخيرا ما يسمى بكلام القوم من رصيد كبار المتصوفة مثل قصيدة الفياشية والدعاء الناصري والقصيدة البغدادية.
ويسمى منشدو هذه القصائد بالمسمعين إذ يتناولون الموضوعات الكبرى في التصوف الإسلامي وكذلك المديح النبوي.

3: الملحون

يعتبر الملحون من أرقى أشكال النظم باللهجة المغربية. ولأصل هذه التسمية تفسيران أولها أن الشعر يأتي مرفوقا بلحن وتنغيم وثاني التفسيرات أن هذا الشعر له انزياح خاص عن القواعد النحوية والعروضية الصارمة. إذ نقول إن فلانا يلحن بمعنى أنه يخطأ في الإعراب.
وقد ظل الملحون عمومًا مجالًا للأشخاص البسطاء، وكثير من شعرائه من الصناع التقليدين ممن لم يكونوا يقرؤون أو يكتبون بل ينتجون أعمالهم من خلال الاعتماد على تقليد شفهي قوي ينشر المعرفة العروضية وفن القياس. في جميع الحالات التي لم يكتب فيها الناظم قصائده، كان بجانبه رفيق يسمى الراوي يكتب القصيدة من إملاء صاحبها.
تأتي قصيدة الملحون في شكل مقطعي مع لازمة (تسمى حربة) تتناوب مع أقسام، والكل مؤطر بمقدمة وخاتمة. يتناول الملحون جميع المواضيع المشتركة مع الشعر الفصيح ويزيد عليها مواضيع أخرى. وعلى العموم هناك أربع فئات من الموضوعات:
- موضوعات العقيدة والإيمان. - ملحون الجلسة وأبعادها المرحة،
- موضوعات اجتماعية - موضوعات ذات بعد وثائقي تاريخية وسياسية ومنها حرب تطوان ودخول الفرنسيين إلى وجدة.

4: الروايس

الروايس (ومفردها رايس: رئيس) يتعلق الأمر بنوع موسيقي في مجال أمازيغية تشلحيت. وهي موسيقى خماسية لأنها تستخدم سلما موسيقيا من 5 نوتات (مثل الموسيقى الصينية والعديد من الدول الإفريقية)

والرايس المتمكن من فنه هو شاعر وملحن ومغني في نفس الوقت. مجموعته تقوم تحت إشرافه بالمرافقة الموسيقية وترديد اللوازم، كما يمكن لها أحيانا أداء رقصة تعتمد على النقر بالأقدام (تمريقت أودار).
يتميز الروايس بأزيائهم وآلاتهم الموسيقية (رباب، لوتار، تلعوات، إيقاعيات معدنية) وإذا ظهرت في السابق فرق تقودها النساء وهن الرايسات المتمكنات من النظم والعزف والتلحين، فقد اكتفت الرايسات حاليا بالرقص والغناء برفقة الرجال.